[219] (بنا أثمرت الأشجار) أي بوجودنا وبركتنا أو بأمرنا صارت الأشجار مثمرة أما الأول فلأن وجودهم سبب لبقاء نظام العالم فلو لم يكن وجودهم لم يكن عالم ولا نظام ولا أشجار ولا أثمار، وأما الثاني فلأنهم المدبرون في هذا العالم بإذن ربهم (1).

_____ 1 - قوله: " فلأنهم المدبرون في هذا العالم بإذن ربهم " يعني لا على جهة التفويض إذ لا مؤثر في الوجود إلا ا تعالى وكلما يرى من تأثير غيره سواء كان روحانيا أو جسمانيا فانما هو بإذن الرب تعالى، لأن وجود كل موجود معلق بالواجب تعالى فكيف بفعله ؟ ومثاله: المرآة ينعكس منها نور الشمس على الجدران لا تنسب الإنارة إلى المرآة وإنما هي للشمس والمرآة واسطة ونسبة إنماء الأشجار وإيناع الثمار وإجراء الأنهار إلى وجود الأئمة (عليهم السلام) في هذا الحديث وغيره ليس غلوا وتفويضا بل يتبرأ الشيعة من الغلو والتفويض كما يتبرأ من النصب. وقد اخترع جهلة أهل الحديث من متأخري العامة مذهبا في التوحيد مبنيا على نفي تأثير شئ في شئ لا بإذن ا ولا بغير إذن ا وهو مذهب مادي محض ودهري صرف، وقال مؤسس طريقتهم: من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء وقال: من علق تميمة فقد أشرك وقال: من الشرك: النذر لغير ا والاستعاذة بغير ا، وقال: في رسول ا نزل * (وليس لك من الأمر شئ) * وإنه لا يغني شيئا عن أقاربه. وقال: الغلو في الصالحين سبب الكفر، وعدوا من الغلو إكرام قبورهم وعبادة ا تعالى عندها. وقال: من الشرك: الطيرة والفال والعدوى والتنجيم وحب غير ا، ومن الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا وجحد الأسماء والصفات وإسناد النعم وأسبابها إلى غير ا تعالى - إلى غير ذلك مما يدل على سخافة عقل قائله وعدم تدبره إذ لا ينكر هو تأثير النار في الحرارة، والسراج في الإنارة والعدوى في كثير من الأمراض، والبرد في هلاك النبات والحيوان، والدواء في علاج المرضى فإن كان نسبة التأثير والإعداد إلى جميع ذلك كفرا وشركا لم يبق على التوحيد دليل ولا للموحدين حجة بل ثبت قول الكفار ولم يكن للمؤمنين سبيل إلى ردهم والاحتجاج عليهم، وإن كان هذه الأسباب مؤثرة بإذن ا وأمره كما مثلنا من مثال المرآة ونور الشمس ولم يكن ذلك شركا لم يجز الفرق بين تأثير الشمس في إنماء الاشجار وإيناع الثمار بإرادة ا وبين تأثير أرواح الأئمة (عليهم السلام) بإذن ربهم إلا أن يكون رجل ماديا دهريا يتعقل تأثير القوى الجسمانية كالنور والحرارة والدواء ولا يتعقل تأثير القوى الروحانية كهمة الأولياء وتأثير الأدعية والتمائم فيستبشع الثاني وينسبه إلى الشرك ولا يستبشع الأول ولا يشعر بأنه في الباطن مادي، وهذا التوحيد المخترع

متولد من المادية وإلا فأي فرق بين نسبة علاج المرضى إلى الدواء أو إلى التمائم وكلاهما بإذن ا لا محالة لكن الإنسان قد يندفع إلى اتخاذ رأي أو العمل بشئ من غير أن يعلم داعيه النفساني من شهوة أو حب أوبغض أو غير ذلك. وإن قيل لعل التمسك ببعض التمائم والفال والتطير من الخرافات التي لم تقم عليها دليل ولذلك أنكرها قلنا: التمسك بالخرافة شئ والشرك شئ آخر وبينهما بون بعيد. وإن قيل: لعل التوسل بمثل الدواء والغذاء والوسائل المادية لا يوجب الشرك دون التوسل بالأسباب الروحانية، قلنا: نطلب بيان الفرق، لأن الشرك لا يفرق فيه بين أن يجعل جسم شريكا تعالى أو موجودا روحانيا بل الأول أفحش التوسل شركا كان شراء الخبز واللحم واللباس أيضا شركا لأنه توسل بسبب لغرض حصول الشبع وبقاء السلامة ولا يجوز أن يطلب السلامة إلا من ا تعالى. وقد روي أن مروان بن الحكم طريد رسول ا (صلى ا عليه وآله) رأى أبا أيوب الأنصاري مكبا على القبر الشريف يتبرك بترابه ويقبله فهاج حقده القديم على الرسول وعلى الأنصار ولم يستطع أن يرى تعظيم الرسول (صلى ا عليه وآله) بعد موته وأخذ بقفا أبي أيوب ورفعه وقال: هل تعرف ما تفعل إنما هذا شرك وعبادة لغير ا تعالى، فنظر إليه أبو أيوب وقال: مالك = (*)
